إسقاط النظم أسهل من بناء بدائلها

05-5-2003

المشكلة المزمنة التي تعاني منها الولايات المتحدة أنه ليس هناك أي تناسب بين ما تملكه من قوة مادية (عسكرية تكنولوجية بالذات) وبين ما تحتاج إليه بشدة من خبرة سياسية وتاريخية ومعنوية..لا تملك الخبرة السياسية ولا العبقرية الحضارية أو التاريخية التي تمكنها من بناء شيء سياسي حضاري تاريخي مكان الأشياء التي تقوم آلتها العسكرية التكنولوجية بتدميرها.

*

بقلم د. عبد الله النفيسي

مواد ذات علاقة
بيع بلد برمته أو خصخصة العراق في الخفاء!

* المشكلة المزمنة التي تعاني منها الولايات المتحدة أنه ليس هناك أي تناسب بين ما تملكه من قوة مادية (عسكرية تكنولوجية بالذات) وبين ما تحتاج إليه بشدة من خبرة سياسية وتاريخية ومعنوية، أقصد أن الولايات المتحدة تملك قوة مادية تستطيع بواسطتها تدمير الأهداف والأغراض التي تعترضها، لكنها - وفي نفس الوقت - لا تملك الخبرة السياسية ولا العبقرية الحضارية أو التاريخية التي تمكنها من بناء شيء سياسي حضاري تاريخي مكان الأشياء التي تقوم آلتها العسكرية التكنولوجية بتدميرها.
* كأن الولايات المتحدة جيش ضخم لديه سلاح مدفعية يدك الأهداف دكا فيحيلها قاعا صفصفا ولكن ليس لديه سلاح مهندسين لديه عبقرية في فن البناء، وفن الإشادة من جديد للأشياء. من هنا نجد أن تجربة الأمريكان في تغيير النظم السياسية تجربة بائسة وكئيبة ورثة وغير ناجحة ليس من جهة مقدماتها بل من جهة نتائجها: حصل هذا في يوغسلافيا وأفغانستان والعراق وفيتنام الجنوبية وإيران وأمريكا اللاتينية وحتى في الجزر النائية في الأرخبيل الأندونيسي (تيمور الشرقية).
* منذ سنوات وتحت شعار إسقاط سلوبودان ميلوزوفيتش في بلغراد توغلت الولايات المتحدة في ممارسة هوايتها التاريخية في القصف الجوي فقصفت بلغراد الأوروبية واستمر القصف لأسابيع وسط دهشة الأوروبيين وعجزهم. صحيح ان ميلوزوفيتش سقط وصحيح أن نظامه تهدم في أطلال بلغراد ولكن هذه نصف الحقيقة، أما النصف الثاني فان يوغسلافيا تحطمت أيضا وكان من الممكن انقاذ يوغسلافيا من ميلوزوفيتش دون تحطيمها وتركها في حالة من الفوضى السياسية والبلبلة الإدارية التاريخية كما هو حالها الآن. الدرس: قوة التدمير شيء وعبقرية البناء شيء آخر تماما.
* ولأن الولايات المتحدة أدركت خلال ملاحقتها لتنظيم القاعدة (وهي ملاحقة بدأت قبل 11 سبتمبر 2001 بسنوات) أن ذلك يستوجب تفكيك نظام طالبان الذي شكل الحضن الجغرافي للقاعدة دخل الأمريكان - ولأسباب اخرى أيضا تعرفها الشركة الأمريكية النفطية يونوكال UNOCAL - أقول دخل الأمريكان في حملتهم العسكرية الوحشية البدائية كما يدخل الثور الحلبة في إشبيلية وحطموا كل شيء في طريقهم القرى والمدارس والمساجد والشيوخ والنساء والأطفال إلا طالبان والقاعدة؟ طالبان التي انسحبت بكل ذكاء للحفاظ على قوتها إلى الجبال المحيطة بقندهار والقاعدة التي انتشرت في محيط جغرافي أوسع من أفغانستان بكثير وكمنت للفرصة التاريخية القادمة. ونصب الأمريكان كرزاي الذي لا يكاد يضمن أمانه خارج كابول دع عنك أن يضمن نظامه وتركوا بلاد الأفغان تعيش حالة من الفوضى والضعف ولم تتحقق وعود الأمريكان للأفغان بالبناء أو التنمية وغيره.
* وتحت شعار إسقاط نظام صدام حسين والبحث عن أسلحة الدمار الشامل WMD شنوا وخلال أيام قلائل ألفين وخمسمائة غارة جوية مدمرة على بغداد والمدن العراقية وأسقطوا فعلا نظام صدام ولم يعثروا حتى الآن على أسلحة الدمار الشامل (وهي علة لا يصدقها الأمريكان أنفسهم) ولكن الأخبار التي تصل من العراق تؤكد نفس الدرس: قدرة الأمريكان على هدم الأشياء وتدميرها وعجزهم التاريخي عن بناء النظم والمفاهيم والتكوينات الاجتماعية الجديدة وليس فقط عودة التيار الكهربائي وتوزيع أكياس الطحين على الجوعى، فهذا الأمر لا يحتاج إلى حرب أو آلة عسكرية ضخمة كالتي عند الأمريكان. وكم هو ملاحظ تخبط الأمريكان في العراق بعد اسقاطهم للنظام البائد ذلك أن من يتابع تصريحاتهم المتناقضة (خاصة بين وزير الدفاع ووزير الخارجية) يلحظ أن «رؤيتهم» لعراق ما بعد صدام يشوبها الكثير من الارتباك وان نقطة التركيز الواضحة لديهم حراستهم المشددة لوزارة النفط في بغداد وحفاظهم المشدد على أرشيفها وأوراقها وقوائم الفنيين العراقيين العاملين فيها مما يوضح أن الهدف هو الهيمنة على نفط العراق ليس من حيث هو وقود بل من حيث هو مصدر من مصادر القوة الدولية التي تتيح لهم السيطرة على أوروبا والصين واليابان وغيرها من القوى المنافسة في المجال العالمي.